



القيم التي يجب أن يتصف بها المؤمن

(023) سورة المؤمنون

اللقاء الخامس من تفسير سورة المؤمنون : شرح الآيات 74-57

2024-10-12

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين.

وبعد: هذا لقاءنا الخامس من لقاءات سورة المؤمنون، ومع الآية السابعة والخمسين من السورة وهي قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُسْفِفُونَ (57) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (58) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (59) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا
وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (60) أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَاهِقُونَ (61)

(سورة المؤمنون)

العقل أن تصل إلى الشيء بفكرك قبل أن تصل إليه بجسدك:

ذكر المولى جلّ جلاله في هذه الآيات صفات المؤمنين، وابتدأها بقوله تعالى: **إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُسْفِفُونَ** أي من خوف عذاب ربهم حذرون، أشفق الإنسان من الشيء، خاف منه وحذره، والخشية هي شدة الخوف، والخشية غالباً ما ترتبط بالغيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (12)

(سورة الملك)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْتَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ۗ وَهُمْ لَا يُبْطَلُونَ (62)

(سورة المؤمنون)

تكليف الله تعالى للإنسان دائماً ضمن الوسع:

وهذا الأمر فيه تخفيف وفيه تقرير، التقرير أن التكليف دائماً ضمن الوسع، وأنه لا ينبغي لإنسان أن يدعى أن الله كلفه فوق وسعه، فيقول مثلاً غص البصر في هذا الزمن غير ممكن، أو يقول مثلاً هذه الفتن شديدة لا أستطيع تحملها، فنقول له:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ
تَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۗ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۗ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا ۗ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)

(سورة البقرة)

(وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا).

وفيه تخفيف، لعل إنساناً لم يستطع لسبب أو لآخر أن يدرك ما أدركه الآخرون فنقول له **(وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)** فالله تعالى إن لم يُعطك المؤهلات لتصل إلى ما وصل إليه فلان، فأنت مكلف ضمن الوسع الذي عندك، فقال لك فلان بنى مسجد أنا لا أستطيع، فنقول له: **(وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)** في هذا الموطأ، بمعنى أنك أنت لم يؤتك الله مالاً فما طلب منك إنفاق المال، وهذا معنى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِيُنْفِقُ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ ۗ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفْسِقْ ۖ فَمَا آتَاهُ اللَّهُ ۗ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا**
آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (7)

(سورة الطلاق)

تفسير للوسع بما آتاه الله تعالى، فكل إنسان آتاه الله شيئاً سيكلفه بناءً عليه، فلا يسأل إنسان عن إنسان آخر، أنت أسأل عن نفسك، فلان لم يبلغه من الدعوة ما بلغني **(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا)** فلان ما عنده قدرة على القيام بالأعمال الصالحة التي أقوم بها، ضعيف، مريض، لا يكاد يستطيع النوم، **(لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا)** أنت مكلف بشيء هو غير مكلف به، فالتكليف على قدر الوسع وعلى قدر الإيتاء.

فهذه الآية نص في أنّ التكليف العامة يستطيعها الإنسان **(لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)** وأنّ ما عجز عن الوصول إليه لشيء خلقه الله فيه، أو لظرفٍ أُحيط به خارج عن إرادته، فإنّ الله لا يكلفه به، فتؤخذ من زاويتين، أمّا أن تؤخذ من الزاوية الثالثة وهي الاحتجاج على ترك الأعمال بالنظر إلى وسع الإنسان وتقديره لوسعه هو كما يجب، فهذا شيء ما أرادته الله من الآية، وما فهمه النبي صلى الله عليه وسلم، ولا صحابته، ولا سلف هذه الأمة، بمعنى أنه ينظر إلى نفسه فيجد نفسه لا يريد القيام بهذا العمل فيحتج بالآية فيقول لك: **(لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)** أنت انظر إلى التكليف لا تنظر إلى نفسك، التكليف هل هو ضمن الوسع أم ليس ضمن الوسع، يعني يسعك، تستطيعه، بإمكانك إن تفعله، وإلا لما كلفك الله تعالى به، فإن كنت عاجزاً عن فعله فأنت لست مكلفاً به أصلاً، فالقيام في الصلاة ضمن وسعنا، المشلول لا يكلفه الله بالقيام أصلاً، **(لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا)** لكن لما أنت تستطيع القيام فالتكليف ضمن وسعك أنت، لما كلفك بالزكاة أنت تستطيع أن تنفقها، لكن لما عجز الفقير عنها فهو لا يكلف بها، وهكذا.

(وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۗ وَلَدَيْتَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ۗ وَهُمْ لَا يُبْطَلُونَ) وبعد ذلك بعد أن الله تعالى كلف كل نفس ما تستطيعه، جعل هناك كتاباً ينطق من النطق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)

(سورة يس)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿وَقَالُوا لَوْلَا جُؤدِهُم لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ قَالَوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21)

(سورة فصلت)

فالكتاب ينطق أيضاً، ينطق أي إشارة إلى أهمية هذا الكتاب (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَتَّبِعُونَ بِالْحَقِّ) سُجِّلَتْ فِيهِ أَعْمَالُ الْإِنْسَانِ وَسُجِّلَتْ فِيهِ الْحَسَنَاتُ وَالسَّيِّئَاتُ (وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ) أي لا يظلمهم المولى جلَّ جلاله، لا بإنقاص حسناتهم ولا بزيادة سيئاتهم (وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (63)

(سورة المؤمنون)

هذه الآية، (بَلْ) حرف إضراب، انتهى ما قبلها وبدأنا بمعاني جديدة، بعض المفسرين وهموا في هذه الآية، أو أولوها ففهموها على أنها متابعة لما قبلها، يعني قلوب الصالحين (فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا) أي في غفلة من هذه الأمور (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ) من النوافل (هُمْ لَهَا عَامِلُونَ) لكن الصحيح أنَّ هذه الآية هي بداية لفئة جديدة من الناس (قُلُوبُهُمْ) أي قلوب المشركين، قلوب الغافلين، لأن الله تعالى لن يصف قلوب المؤمنين بالغمرة والسهو والغفلة، لم يرد ذلك في السياق القرآني أبداً، أن توصف قلوب المؤمنين بأنها في غمرة، الغمرة أن يغمرك الماء حتى لا تستطيع أن تتنفس، والتعبير هنا (قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ) أي في غفلة تامة، وكأنها قد غمرتهم تلك الغفلة. الإنسان ربما لا يأكل لأيام، وربما لا يشرب ليوم أو يومين، لكنه لا يستطيع أن لا يتنفس إلا بمقدار ما تحويه رتاه من الهواء، فأكثر حاجة الإنسان لا يستطيع الفكك عنها هو النفس، لذلك لما يكون في غمرة يُقطع نفسه فوراً لا يستطيع، ومن هنا جاء التنافس، تنافس من النفس، يتنافس المتنافسون أي يبذل كل أقصى جهده للوصول إلى الهدف، وكأنه يكاد يفقد نفسه من شدة المنافسة، يقول لك احترق نفس فلان من شدة الأمر، فالنفس دائماً هو الشيء الذي لا يستطيع الإنسان الفكك منه أبداً، مفتقرون إلى الطعام والشراب لكن النفس تحديداً لا يصبر الإنسان إلا دقيقة أو دقيقة ونصف أو دقيقتين، بمقدار ما في رثبه من الهواء، فإذا انتهى ما في رثبه من الهواء، فارق الدنيا، أمّا الطعام والشراب يصبر أكثر.

الإنسان عندما يغفل من كتاب الله تعالى يستمرئ المعصية ويبالغ فيها:

(بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا) هذا اسم إشارة يعود على الكتاب الذي سبق (وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَتَّبِعُونَ بِالْحَقِّ) وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ (بَلْ قُلُوبُهُمْ) قلوب المعرضين الغافلين في غفلة من هذا الكتاب، أي هم غافلون عن أنَّ أعمالهم تُحصى عليهم، وأنَّ الحسنات تُسجَّل، وأنَّ السيئات تُسجَّل، فالإنسان عندما يغفل عن هذه الحقيقة يستمرئ المعصية ويبالغ فيها، عندما يستحضر دائماً أنَّ الله يُسجِّل عليه ويحصى عليه أعماله يتمادي، اليوم سائق السيارة ما دام مستحضراً أنَّ الكاميرا تصوِّر فلا يسرع، عندما يغفل عن المراقبة يتجاوز السرعة، عندما يغفل عن وجود الشرطي يقطع الطريق مخالفاً، فالإنسان يتجاوز ويعصي ويخالف عندما يغفل عن وجود الرقيب، فقال: (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا) أي هم غافلون عن هذا الكتاب الذي ينطق بالحق، فيظنون أنهم يعملون ما يشاؤون، وأنه ليس هناك شيء مُسجَّل عليهم، فيعملون ما يريدون، (بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا) من الكتاب.

(وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ) أي من دون ما هم عليه من الكفر، ليس بعد الكفر ذنب، فقلوبهم قد امتلأت غفلةً، فأشركوا بالله (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ) كل شيء بعد الكفر هو من دون الكفر، لذلك قالوا: ليس بعد الكفر ذنب.

مثل شخص أوتي به ليقذف به حكم الإعدام لأنه قتل إنساناً، على جبل المشنقة جاءت إدارة السير وقالت توقفوا عليه مخالفة سير عشرة دنائير، مخالفة السير تذهب لكن هو سوف يُعذب، لا تحتاج إلى استيفاء مخالفة السير، وهذا ما فهمه بعض المفسرين من قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي وَأَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ﴿٧٨﴾
 وَلَا يُسْأَلُ عَنْ دُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (78)

(سورة القصص)

المجرم لا يُسأل لماذا أطلقت بصره، هو الآن مستحق للعذاب الأليم قاتل مجرم، انتهك الحرمات فلا يُسأل عن الذنوب الصغيرة، هذه تندرج تحت الكبائر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (63) حَتَّىٰ إِذَا أَحْدَثُوا مَثْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (64)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102)

(سورة هود)

قال صلى الله عليه وسلم في تعليقه على هذه الآية:

{ عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إِنَّ اللَّهَ يُؤْتِي لِلطَّالِمِ،**

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُقْلِنَهُ» }

(متفق عليه)

المتترفون لم يردوا في كتاب الله تعالى إلا منبوذين مذمومين:

يرخي له الحبل، انتهى، أخذه واحدة، فقال: **(حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ)** أي منعميهم، والمتترفون لم يردوا في كتاب الله تعالى إلا منبوذين مذمومين، ما ورد الترف إلا قرين الذنب، ما ورد الترف إلا قرين الكفر، والعباد بالله، فأصبح مصطلحاً قرانياً أن الترف منهى عنه، الترف هو التمتع بالدنيا مع الغفلة عن الآخرة، التمتع بالدنيا بالمعاصي والآثام، أمّا أن يأخذ الإنسان من الدنيا سيتنعم، كلنا منعمون بالدنيا، الماء البارد من النعيم، الآن أهلكنا في عزة نسأل الله أن يعزج عنهم وأن يزيل عُقْبَتَهُمْ وأن يعزج كربهم، في مناطق ليس بها ماء صالح للشرب، بارد أو غير بارد، فإذا شربت كأس ماء بارد فأنت في نعيم، المسكن نعيم، أن هناك سقفاً بأوبك ولو كان عشرة أمتار فهو نعيم، فنحن منعمون في الدنيا، لكن الترف مذموم، والمتترفون يأمرهم الله تعالى بالطاعة فيخالفون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْبَةً ۖ **«إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْبَةً ۖ**
أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا
تَدْمِيرًا (16)»

(سورة الإسراء)

فالفاسقون والمتترفون قراء، الفسق مع الترف.

{ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مَعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ قَالَ لَهُ: **«إِيَّاكَ وَالنَّعْمَ فَإِنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُنْتَعِمِينَ**

(الألباني صحيح الجامع)

قال أهل العلم: **«إياك أن تجعل التمتع هدفاً وغاية لك، اجعل التمتع بالدنيا وسيلة لك إلى الله، لكن أن تستهدفه وتجعله هدفاً لك في الحياة (فإنَّ عِبَادَ اللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُنْتَعِمِينَ)»**.

النعيم إذا استهدف بحد ذاته ينقلب إلى نقمة:

وبالمناسبة النعيم إذا استهدف بحد ذاته ينقلب بعد حين إلى نقمة، أهل علم النفس يقولون للذة إذا استهدفت انقلبت إلى تعاسة، لأن الإنسان يكتفي منها فيريد غيرها، وهذا سبب البشود في العالم الغربي والانتقال من العلاقة الآتمة، لكن التي وفق المجرى الطبيعي إلى العلاقة الثانية ثم إلى حيوانات والعباد بالله، فهم ينتقلون من دركٍ إلى دركة، السبب أن اللذة لا تستهدف بذاتها، الإنسان يتزوج ليحضر نفسه، لوليد صالح يدعو له، ليعمر الأرض، ليكون خيراً على الناس والآخرين، لكن ما يتزوج فقط ليقتضي شهوته، أي هو لا يستهدف قضاء الشهوة، كل إنسان يقضي شهوته، لكن هو يقضيها ضمن الحلال، ضمن منظومة قيمية، أما الزاني والعباد بالله يتجه إلى الزنا لقضاء الشهوة فقط، كان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: " أقوم إلى زوجتي وما بي من شهوةٍ إلا رجاء ولي صالح ينفع الناس من بعدي"، فالقيم عند المؤمن أعلى من مجرد الشهوة، هذا لا يعني أنه لا يشتهي، ولا يعني أنه ينبغي أن يقضي شهوته بالحلال، لكن يعني أن المنظومة القيمية في الإسلام أكبر من مجرد قضاء الشهوة، قضاء الشهوة جزءٌ منها، فهو لا يستهدف النعيم بذاته، بل يستهدفه ضمن منظومة قيمية (حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَازُونَ) أي يرفعون أصواتهم مستغيثين بالله تعالى، رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة والجار (بِجَازُونَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(سورة المؤمنون) **لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ، انتهي (إِنَّكُمْ مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ) فات الأوان، لن ينصركم الله تعالى.**

(سورة المؤمنون)

لا ترفعوا أصواتكم، انتهي (إِنَّكُمْ مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ) فات الأوان، لن ينصركم الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ (66)

(سورة المؤمنون)

يعني كانت آياتي في الدنيا تُقرأ عليكم، فكنتم ترجعون مؤلّين عنها إذا سمعتموها كراهية لها، العقب هو مؤخر القدم، يقول صلى الله عليه وسلم:

{ عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وعائشة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه قال: **وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ** }
(رواه مسلم)

وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ

(رواه مسلم)

إذا إنسان توصأ ولم ينتبه لإسباغ الوضوء، فهذا مما يُفسيده وضوءه فيبطل صلاته، فحذر النبي صلى الله عليه وسلم (وَيْلٌ لِلأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ) لأن الإنسان قد يغسل قدمه ولا ينتبه إلى وصول الماء إلى العقب، فالأعقاب هي مؤخر القدم، (قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ) في الدنيا آيات القرآن الكريم (فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ) ترجعون، الإنسان عندما يمشي إلى الأمام يمشي على هُدى، يرى أمامه، لكن لقا يعود إلى الخلف على أعقابه، فهذه صورة ذهنية تُشير إلى أنه سيقع ويرجع، المطلوب أن يتقدم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُنلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ (66) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (67)

(سورة المؤمنون)

السمر بعد العشاء مكروه عند أهل العلم:

(مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ) ما هو؟ جمهور أهل التفسير على أنه الحرّم، قال لأنه ورد في أكثر من آية، القرآن يفسّر بعضه بعضاً، ورد استكبارهم بالحرّم، وبأنهم يعتزّون بأنهم من أهل الحرّم، وبأنهم سدنة الكعبة، إلى غير ذلك، فيستكبرون بذلك، فيقول لهم جلّ جلاله: كنتم تفعلون ذلك مستكبرين على الناس بما تزعمونه من أنكم أهل الحرّم وأنتم لستم بأهله، لأن أهله يجب أن يكونوا على تقى وخير وأنتم لستم كذلك، **(مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ)** وقال بعضهم **(بِهِ)** بما سبق من الآيات التي كانت تُثلى عليهم من القرآن الكريم **(سَامِرًا تَهْجُرُونَ)** أي تتسامرون حوله ولا تقدّسونه، وتهجرونه **(مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ)** بأنكم من أهل الحرّم، **(سَامِرًا)** أي حالة كونكم متسامرين، والسّمَر هو الجلوس بعد العشاء لأطراف الحديث

{ جَدَبَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّمَرَ بَعْدَ الْعِشَاءِ }

(أخرجه ابن ماجه وأحمد)

واستثنى أهل العلم من هذا السّمَر، ما يكون من مجالسة الرجل أهله، جلس هو وزوجته هذا لا مانع منه، أو المسامرة في طلب العلم، بالحق بالخير، أمّا السّمَر بعد العشاء لغير هذين الشبّين مكروه عند أهل العلم، **(جدب لنا)** أي نهانا رسول الله عن السّمَر بعد العشاء، فالسّمَر هو المسامرة، وهو تبادل الحديث أو الأحاديث المسائية، فأنتم كنتم تفعلون هذه الأمور استكباراً واعتزازاً بأنكم من أهل الحرّم وأنتم لستم من أهله، لأنكم تشركون بالله، والحرّم لله، وتهجرون آيات القرآن الكريم متسامرين بالحديث عنه، بالحديث عن القرآن بأنه أساطير الأولين، وقال بعض أهل العلم، تتسامرون بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، ساحر، مجنون به جنة، لأنّ الآيات جاءت بعد ذلك تتحدث عن القرآن، وتتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيمكن أن نقول تهجرون القرآن الكريم وآياته وأحكامه وما فيه، أو تتسامرون بالحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، بما تصفونه به من الأباطيل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَقْلَمَ يَدَبَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (68)

(سورة المؤمنون)

تدبر القرآن الكريم:

تدبر القرآن أن تنظر في أدياره، في عاقبته، في نهايته **(أَقْلَمَ يَدَبَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ)** أم جاءهم ما لم يأت أسلافهم من قبلهم، فأعرضوا عنه وكذبوا به

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ (69)

(سورة المؤمنون)

عرفوه، عرفوا صدقه، عرفوا أمانته، ثم هم ينكرونه، وينكرون رسالته، وينكرون صدقه، وهنا عتاب من الله عزّ وجلّ للأمم التي لا تعرف إلى رسولها، إلى سيرته، إلى سنّته **(أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ)** كانوا يقولون عنه الصادق الأمين، لقا جاءهم كذبوه، وهم يعرفون صدقه وأمانته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْتَرَتْهُمْ لِحَقِّ كَارِهِونَ (70)

(سورة المؤمنون)

والجِنَّة هي غيب العقل **(بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْتَرَتْهُمْ لِحَقِّ كَارِهِونَ)** بل حرف إصراب، أي ليس به جنة حاشاه صلى الله عليه وسلم، لكنه جاءهم بالحق وهو القرآن الكريم، وأكثرهم للحق كارهون، وقلنا كثيراً إنّ الأكثرية في القرآن مذمومة، فلا تكن مع الأكثرية ولكن مع الحق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (71)

(سورة المؤمنون)

يعني لو أجرى الله الأمور ودبرها على وفق ما تهواه أنفسهم لفسدت السماوات والأرض، الفساد هو تعبير الشيء عن طبيعته، أو أن يوضع الشيء في غير موضعه، فلو أن الحق اتبع أهواء هؤلاء لفسدت السماوات والأرض.

الفساد ليس أصلاً في الخلق:

الحق أن المرأة مقدّسة لها مكانتها، وأن سبيلها هو الزواج، وأنها بنت تملأ البيت خيراً، أو أخت تكون سنداً لأهل بيتها، أو زوجة تعتنى بزوجها وأولادها، أو أم تُقبّل أولادها رأسها، أو جدة لها صدر البيت، هذا هو الحق، لكن ليس في الإسلام المرأة عشيقية، ولا وسيلة إعلانية، لا يُسمح في الإسلام أن تجعل المرأة وسيلة إعلانية، توضع على المنتجات، بصيغة فاضحة ليشتري الناس المنتج، ليست هذه مكانتها، **(وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ)** فلما تخرج المرأة من البيت إلى العمل وهي بأبهى زينة، وتوضع لتكون في مكان ينظر إليها الرجال، أو تُسلع تصيح سلعة، أو تصيح عشيقية، أو يرتكب معها ما حرّمه الله خارج الزواج، أفسدناها وأخرجناها عن طبيعتها. الهواء ربنا عزّ وجل خلقه نقياً، لما تكثّر من المصانع داخل المدن تُفسد الهواء، هو ليس كذلك الهواء في الأصل، هو نقي لكن نحن أفسدناها بعوادم السيارات وعوادم المصانع، الماء لما يخرج من البنايع ويسيل في الأنهار، نقي عذب اشرب من حيث شئت من النهر، بأي مكان انزل واشرب، لكن لما تُلقى به القاذورات، وتسلط عليه مياه المجاري، يفسد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ (41)

(سورة الروم)

فالفساد ليس أصلاً في الخلق، الله لم يخلق شيئاً فاسداً، الله خلق كل شيء صالحاً، حتى الإنسان خلقه على الفطرة صالح، لو ترك لفطرته لبقى على الخير، لكن أفسدوه، غيره، وضعوه في غير موضعه، فقال: **(وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ)** لو أن الحق جلّ جلاله، أو لو أن القرآن وهو حق من الله تعالى، أو أن النبي صلى الله عليه وسلم وهو حق من الله، أراد أن يتبع أهواء هؤلاء، أهواءهم أن يصلوا إلى المرأة، يدعون أنهم يريدون حقوقها وحرمتها، وهم يريدون حرية الوصول إليها، أهواءهم أنهم يريدون المال من الربا، أهواءهم أنهم يريدون أن تبقى ألتهم المزعومة البشريّة الأصنام، من أجل أن يستعيدوا الناس بها، هذه أهواء، لكن الحق لا يتبع الهوى، الحق هدى من الله وليس هوى **(وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ)** من المخلوقات.

(بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ) بل أتيناهم بما فيه عزهم وشرفهم وهو القرآن الكريم **(بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ)** القرآن ذكّر لكم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (44)

(سورة الزخرف)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (10)

(سورة الأنبياء)

القرآن فيه ذكرنا ورفعنا:

(تِلْ أْتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ) يعني من أعجب العجب أن أتيتك بشيءٍ فيه شرفك وعزك وسؤدرك ومكانتك ثم تُعرض عنه، الإنسان يُعرض عمّا فيه دناءةٌ وخيئةٌ، لكن لا يُعرض عمّا فيه رفعةٌ، لكن هم يُعرضون عمّا فيه رفعتهم، القرآن رفع العرب، وجعلهم في مكانٍ عليّ (تِلْ أْتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ) فالقرآن فيه ذكرنا.

والمعنى الثاني (تِلْ أْتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ) أي بالقرآن الذي يذكرهم، وبين لهم أحوالهم، حال المنافقين، وحال الصالحين، وحال الفاسدين، وحال المؤمنين، لكنهم أعرضوا عن ذكرهم ولم ينتبهوا إلى ما جاء من أوصافٍ في كتاب الله ينبغي أن يمتثلوها، ولا من أوصافٍ في كتاب الله ينبغي أن يجتنبوها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجٌ رَبُّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (72)

(سورة المؤمنون)

أي هل طلبت أجراً من هؤلاء (خَرَّجًا) أن يُخرجوا لك شيئاً من أموالهم في مقابل تلك الهداية (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا) هل سألتهم مالاً؟ لَمَّا قالوا لذي القرنين:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالُوا يَا دَا الْقُرَيْبِينَ إِنَّ بَأْجُوحَ وَمَأْجُوحَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ تَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَيَّ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (94) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رُدْمًا (95)

(سورة الكهف)

فالخرج هو ما تُخرجه من مالك، ومنه الخراج، خراج الأرض ما تُخرجه الأرض (أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجٌ رَبُّكَ خَيْرٌ) ما يُخرجه الله لك من الثواب العظيم خيرٌ من أموالهم كلها (فَخَرَّاجٌ رَبُّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) جلّ جلاله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (73)

(سورة المؤمنون)

لا اعوجاج فيه وهو طريق الإسلام.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ (74)

(سورة المؤمنون)

التلازم وثيق بين ما يعتقد الإنسان وما يتحرك به:

(لَنَّاكِبُونَ) أي لمانئون، نكبت عن الصراط، مال عنه (وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِبُونَ) هذه الآية أصلٌ في التلازم الوثيق بين ما يعتقد الإنسان وما يتحرك به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ (1) قَدْ لِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (2)

(سورة الماعون)

(يُكَذِّبُ بِالذِّينِ) عقيدة (فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ) سلوك، هناك ترابط، دَعَّ الْيَتِيمَ لا تجعل التكذيب بالدين، الترابط بين ما يعتقد الإنسان وما يسلكه، قال صلى الله عليه وسلم:

{ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ
ضَيْقَهُ جَانِزَتَهُ قِيلَ: وَمَا جَانِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ، وَالضَّيْفَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهَوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ وَلَا يَحُلُّ لَهُ أَنْ
يَنُوي عِنْدَهُ حَتَّى يُخْرِجَهُ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ }
(أخرجه البخاري ومسلم)

الإيمان انقلب لإكرام صيف، فالتزام الوثيق بين ما يؤمن به الإنسان ما يعتقد وما يقوم به (وَإِنَّ الذِّينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) لا يريد أن يؤمن بالآخرة، أين المشكلة؟ (عَيْنِ
الصِّرَاطِ لِنَاكِبُونَ) سيميلون عن الصراط المستقيم، يعني لن تجد إنساناً لا يؤمن بالآخرة وهو مستقيم على المنهج، يمكن أن تجد عنده أخلاق فطرية، تجد عنده أشياء تعلمها من
والديه، اعتاد على الصدق، لكن أن تجد عنده مسير صحيح مستقيم بمنظومة متكاملة وهو لا يؤمن بالآخرة لماذا؟! سينتقي، يقول لك هذه الأشياء تربينا عليها، أنا لا أعيش الناس،
وبالنسبة للعلاقة مع النساء؟ يقول لك لا دخل لها بذلك، بموافقتي وموافقتهما، أنا لا أعش، ولكنه يرتكب الفاحشة مع امرأة، فبعض الناس يحتاروا، يقول لك رأيت إنساناً لا يؤمن
بالآخرة لكنه ملتزم معي ما عشتني، نعم هو ما عشتك، ولكن هل المطلوب لتنظيم الحياة أن لا يغش الإنسان أو أن لا يلقي القمامة من السيارة فقط؟! لا، المطلوب منظومة قيمية
كاملة، حفظ أعراض، حفظ دماء، حفظ أموال، حفظ العقل، حفظ الدين.

هناك مقاصد كُتِبَتْ للشريعة ينبغي أن تتوفر في هذا الإنسان، فليست القيم جزئية، بمعنى أنه يأتي بشيء ولا يأتي بشيء، فهذه الآية أصل في أن الالتزام بالطريق المستقيم ناتج
عن إيمان بالآخرة، فالذي لا يؤمن بالآخرة سيميل عن الطريق المستقيم، هذا القيل قد يكون شديداً، يُصبح مجرماً، يقتل، يسفك الدماء، يعتدي على الأعراض، يعتدي على الأموال،
وقد يكون قليلاً، لكن أي ميل مهما يكن قليلاً نهايته ستكون زاوية منفرجة كبيرة، أي ستكون المشكلة في النهاية كبيرة، مهما كان القيل في بدايته قليلاً، لكنه سيكون عن الصراط
ناكباً أي مائلاً، والحمد لله رب العالمين.